مجلة المرابط

العدد : ٢١٧ الموافق في ذو القعدة ١٤٢٠ هجري ٣ / ٢٠٠٠ ميلادي

عنوان المقال : المنطقة العربية بين التطبيع والتركيع	بقلم : أ.عبد الله هارون

لم تعد السياسة التي تمارسها أمريكا وحليفتها « الكيان الصهيوني » في المنطقة العربية هي سياسة التغريب فقط ، وإنما انتقلت منذ حرب تحرير الكويت إلى سياسة التطبيع والتركيع ، ولا شك أن التحولات المحلية والعالمية في الحياة الاجتماعية والسياسية لا تقع فجأة ، وإنما تحتاج إلى منهج عملي مرحلي ، يتخذ لذلك سبيل تكوين تيار أو أكثر من أصحاب الفكر والرأي بحيث يمهد بعد ذلك للتحول بالقوة العسكرية ، أو بالعمل السياسي أو بكليهما ..

والمتتبع للتحولات الفكرية والاجتماعية في المنطقة العربية ، يجد أن الغرب سعى عن طريق الغزو العسكري إلى تكوين تيارات فكرية ومذهبية ، كان من أهم إنجازاتها التمكين للعقلانية والعلمانية التي اجتهدت في سلخ المنطقة العربية عن هويتها الدينية ، ثم ربط المنطقة بالمشروع الغربي ، الذي مكن لقيام « الكيان الصهيوني » ، ثم أدخل المنطقة في عدد من الحروب أعقبها الاستسلام والقبول التام بالمشروع « الصهيوني » ، ثم دخلت المنطقة في عملية التنازل الذي لا يعلم إلا الله تعالى وحده إلى أين سيصل بنا ، ويمكن إيجاز ما تم حتى الآن فيما يأتي :

١- بداية رحلة التنازلات :

بدأت هذه الرحلة بانحياز عدد من أصحاب الرأي والفكر في المنطقة العربية للفكرة الغربية ، وبعد أن تعلقت قلوبهم بالغرب أعربوا عن انبهارهم بالنموذج الحضاري الغربي المتمثل في فصل الدين عن الدولة ، وزينوا للشعوب المغلوبة على أمرها الانسلاخ من الدين والتبعة للغرب ، والغريب أن دعاة الاشتراكية العرب والذين كان من المفروض أنهم يتناقضون مع دعاة « الليبرالية » ، اتفقوا جميعاً على الترويج لفكرة القبول بزرع « الكيان الصهيوني » واعتباره أمراً واقعاً ، فقام تضامن بين « الشيوعيين العرب » وأحزاب « اليسار الصهيوني » ، وتضامن بين « الليبراليين العرب » وأحزاب « اليمين الصهيوني » ، وقد اجتهد هؤلاء وأولئك في النيل من الدين لإبعاد المسلمين بصفة خاصة عن التمسك بالإسلام ، إذ أنه في الواقع لم يبتعد اليهود في المنطقة عن التمسك بالتوراة ، ولم يبتعد النصارى في لبنان ومصر عن التمسك بالنصرانية !!

٢- مرحلة احتدام الصراع العسكري :

بعد التمهيد للفكرة الغربية والغزو الثقافي ، وزرع « الكيان الصهيوني » على رقعة صغيرة من

فلسطين ، وجدت مقاومة من التيار الإسلامي ، وظهر جهاد المسلمين في فلسطين ، مما جعل « الكيان الصهيوني » بدعم من الغرب - بشقيه آنذاك - يفكر ويدبر في القضاء على التيار الإسلامي ورفع شعار القومية العربية ، والتي سرعان ما انهارت .

ومع افتعال الخلافات بين الأنظمة دخلت المنطقة العربية في صراعات مع بعضها ، كان الهدف منها استنزاف الطاقات والإمكانات ، وشغل الشعوب عن « التوسع الصهيوني » وإعطاء هذا « الكيان الوليد » الفرصة في التمكين لوجوده من خلال تكوين بنية تحتية قوية وإنشاء صناعات واعدة ، وقد انتهت هذه الصراعات بدخول العراق الكويت ، وتهيأت الفرصة لإحداث أكبر وأعمق انقسام بين البلاد العربية ، نتج عنه دخول المنطقة في حرب تحرير الكويت ، والتي مكنت للقوات الأجنبية في منطقة الخليج ، وساقت الأنظمة العربية إلى مؤتمر مدريد الذي استسلم فيه العرب للصهاينة ، وراجت مقولة العرب " الخيار الاستراتيجي للسلام " وسميت بعد ذلك بمعركة « السلام » ، حتى أن الذي رفض هذا المؤتمر سميّ « عدواً للسلام »

٣- الترويج للسلام ونبذ الإرهاب :

بعد دخول البلاد العربية في مباحثات ثنائية وجماعية وصفت بأنها لقاءات ومؤتمرات السلام ، ظهرت تحركات في مجالات مختلفة وعلى مستويات متعددة ، نذكر منها ما يأتي :

(١) ذهب عدد من « المثقفين العرب » إلى اللقاء مع عدد من الصهاينة في مدينة كوبنهاجن ، وخرج المؤتمرون بوثيقة كوبنهاجن التي تعلن التعاون لتحقيق السلام ، وهذه حركة في حقيقتها دعوة لتطبيع العلاقات مع اليهود والتمكين للكيان الصهيوني .

(٢) دخلت مباحثات « السلام » التي بدأت تحت شعار « السلام مقابل الأرض » في مساراتها المختلفة إلى مجالات تعثرت معها ، ولكن الراعي الأمريكي تدخل بذكاء في الوقت المناسب ، وبعد كل فترة يظهر طرف من الأطراف العربية مع مندوبين من « الكيان الصهيوني » في حديقة البيت الأبيض لتوقيع وثيقة يتنازل فيها الطرف العربي للطرف الصهيوني عن جزء من المطالب السابقة ، ثم انتقلت هذه الصورة إلى مدن أخرى في أمريكا وبعض البلاد العربية ، لإشعار الشعوب بأن مسيرة السلام مستمرة .

(٣) الملاحظ على كل اتفاق أنه يكبل الطرف العربي باتفاقات اقتصادية وسياسية وسيادية ، والطرف العربي يلتزم بهذه الاتفاقيات ، أما الطرف الصهيوني فهو يتنصل من الالتزام ، حتى أن كل

اتفاق يحتاج إلى اتفاق آخر أو أكثر لتنفيذ بعض ما التزم به الطرف الصهيوني في الاتفاق الأول .

(٤) رافق هذه التحركات ظهور مقالات في الصحف والمجلات العربية تسوق وتروج للمشروع الصهيوني ، مع الإشادة بالتقدم التقني والاقتصادي ، والثناء على الحرية و" الديمقراطية " وارتفاع مستوى المعيشة في فلسطين المحتلة ، فضلاً عن التقدم الهائل في مجال الزراعة ، كما كتب شمعون بيريز كتابه « الشرق الأوسط الجديد » الذي زعم فيه أن المنطقة إذا دخلت في مشروع السلام فسوف ينعم أهلها برغد العيش !!

(٥) ظهرت دعاوى التخويف من الحركات الإسلامية ، وتمكن الإعلام الأمريكي والصهيوني من الربط بين بعض أعمال العنف وجماعات إسلامية وأشاع الرعب من الإسلام تحت شعار الإرهاب ، وعقدت المؤتمرات على مستويات مختلفة كان أهمها مؤتمر شرم الشيخ ، وسرعان ما رُبط الإرهابُ بالإسلام ، فأصبح التخويف من الإسلام بوصفه دين العنف والإرهاب ، وقد ساعد على التمكين لهذه الادعاءات بعضُ الإسلاميين الذين لا يمثلون الإسلام والمسلمين بما نقل عنهم في عدد من وسائل الإعلام العالمية والقنوات الفضائية .

٤- التطبيع والتركيع :

إن الذي يتابع ما جرى في المنطقة حتى الآن يتبين له الآتي :

◆ باسم حماية المصالح ومحاربة الإرهاب تمركزت القوات الأمريكية في منطقة الخليج ، ومن وقت لآخر يفرض على هذه البلاد - التي تدفع مصاريف هذه القوات المتمركزة - شراء أسلحة بمليارات الدولارات - ولا يدري أحد متى تستخدم هذه الأسلحة وضد من ؟ إذا كانت البلاد دخلت مع العدو الصهيوني في اتفاقات سلام !!

◆ الطيران الأمريكي والبريطاني يحلق فوق شمال العراق وجنوبه باسم حماية الشعب الكردي في الشمال والشيعة في الجنوب ، ولكننا شاهدنا ضرب العراق بعد تحرير الكويت بحجة أن العراق يهدد جيرانه ولا يمتثل لقرارات " مجلس الأمن الدولي "ويعجب الإنسان لمثل هذه المواقف المتناقضة التي لم تعد خافية على أحد!

◆ باسم محاصرة النظام العراقي لإسقاطه يتعرض الشعب العراقي لأفظع عملية تجويع وموت بطيء منذ ٩ سنوات ، مما دفع المنسق الدولي للشؤون الإنسانية في العراق " هانس فون شبونيك " إلى التخلي عن منصبه - وهو المنسق الخامس - في إدارة برنامج النفط مقابل الغذاء ، الذي يسمح من خلاله

لبغداد ببيع نفط وشراء مواد غذائية وأدوية وسلع أخرى ضرورية تحت رقابة صارمة .

◆ تمارس أمريكا سلطانها في استصدار قرارات من « مجلس الأمن الدولي » لتركيع البلاد العربية كما حدث مع ليبيا والسودان والعراق كان آخرها القرار رقم ١٢٨٤ والذي يشترط لتعليق العقوبات على العراق تعاونه مع لجنة « انموفيك » ، التي كلفت مهمة الرقابة والتحقيق والتفتيش كما تريد أمريكا !!

◆ تقوم حكومات « الكيان الصهيوني » بما فيها حكومة « ايهود باراك » الذي دعم في انتخابه من قبل العرب بدعوى أنه رجل « السلام » منذ سنة ١٩٨٢م بضرب لبنان ، وخاصة المدنيين والبنية التحتية ، وتدمير المساكن فوق رؤوس النساء والأطفال والشيوخ ، وآخرها القصف المستمر هذه الأيام ، والأغرب من عملية القصف هو ما صدر على لسان عدد من المسؤولين الأمريكان من أن أمريكا - التي إذا ذكرها العرب قالوا راعي السلام - تدعم هذا القصف الصهيوني بحجة أنه يتم لإيقاف الأعمال الإرهابية التي يقوم بها " حزب الله " !!

٥- **أيها العرب أفيقوا** :

إن المشروع الصهيوني ليس مشروع سلام ، وإنما هو مشروع سيطرة وهيمنة من خلال التطبيع والتركيع ، واعملوا أن ما سعى الأدعياء لترويجه بأن « الكيان الصهيوني » متماسك ولا يقهر ، لم يعرضوا الصورة متكاملة ، وإليك بعض ما لم يعرضه هؤلاء الأدعياء أيها القارىء الكريم :

⊙ قبل سنتين بث التلفزيون الألماني لقاءً بمناسبة الاحتفال بمرور خمسين سنة على قيام « الكيان الصهيوني » حاضر فيه أستاذ في الجامعة العبرية وقال ما ترجمته : " إنني لست واثقاً أنه سيحتفل بمرور مائة سنة على قيام إسرائيل " ، وذكر أسباب هذا التشاؤم فقال :

• " إن إسرائيل دولة قامت على أساس الدين ، وتقول بأنها دولة ديمقراطية - أي تقوم على أساس فصل الدين عن الدولة - وهذا التناقض خطير ، وقد ظهرت نتائجه ، فالأحزاب الدينية تتحكم في سياسة الدولة رغم محدوديتها ، وقد قام أحد المتدينين بقتل رئيس الوزراء « رابين » ..

• التوراة تؤكد على عداء اليهود للعرب ، والقرآن يؤكد على عداء العرب لليهود ، وعليه فلا يمكن أن يدوم سلام في المنطقة حتى لو وقعت اتفاقيات سلام مع جميع الجيران !!

• هناك تمييز واضح وطبقية واقعية بين أفراد الشعب الإسرائيلي ، فاليهود الغربيون غير اليهود الشرقيين ، وحتى القسم الأخير لا يعامل فيه من هاجر من أوروبا الشرقية معاملة المهاجر من أفريقيا وآسيا والهند "

⊙ هناك جانب غير مشرق في حياة الصهاينة له تأثيره في حياة « الكيان الصهيوني » نفسه فضلاً عن التأثير في حياة العرب إذا تم التطبيع ، فقد نشرت أخبار تؤكد أنه تقع عملية اغتصاب كل خمس ساعات ، وأنه يقع حادث إجرامي كل دقيقتين ، وحادث سطو كل ١١ ساعة ، حتى أن « الكيان الصهيوني » أصبح يحتل المكانة رقم ١١ بين دول العالم في قائمة العنف الذي يمارسه الشباب ، وهناك ٢٠٠ زوجة يتعرضن للضرب من قبل أزواجهن كل أسبوع ، كما أن هناك خمسين ألف حالة إجهاض سنوياً ، وأن نسبة البطالة وصلت إلى ٩,٢% بين السكان عموماً ، وإلى ١٣,٥% بين المهاجرين الجدد .

كما أن القناة الثانية للتلفزيون الصهيوني في يوم ٢٠٠٠/١/٢١م بثت استطلاعاً للرأي العام الصهيوني بخصوص الأوضاع الاجتماعية السائدة ، ظهر منه أن ٥٠% من أفراد عينة الاستطلاع اعتبروا قادة « الكيان الصهيوني » لصوصاً وفاسدين ، وأن تدريس الوطنية والديمقراطية في المدارس يعد نكتة لا يثق الطلاب بها ، وأن ٧٥% من أفراد عينة الاستطلاع لا يثقون بنواب الكنيست ، بينما أعرب ٦٣% منهم عن عدم ثقتهم في القيادة السياسية .

ومما سبق يتبين أن مجتمع « الكيان الصهيوني » ليس هو النموذج الذي يراد لنا معشر العرب والمسلمين أن نتخذه قدوة لنا ، كما يروج لذلك بعض الموتورين ، أقول ذلك للذين إذا حدثناهم بما جاء عن اليهود في القرآن والسنة ، قالوا : نحدثكم عن واقع وتحدثوننا عن خيال لا علاقة له بالواقع !!

⊙ الجبهة الوحيدة التي يسمح فيها بمقاومة العدو الصهيوني هي الجبهة اللبنانية ، ورغم ضعف لبنان كدولة ، وأن المقاومة تقع من جهات شعبية ، إلا أنها تزعج « الكيان الصهيوني » وتقض مضجعه ، كما أزعجت انتفاضة أطفال الحجارة هذا الكيان الذي يصور على أنه عظيم وأنه لا يخاف الصراع .

وأخيراً .. أما آن لنا أن نعتبر ونتخذ الأسباب للخروج من حالة التيه التي دخلنا فيها منذ مؤتمر مدريد عندما صدقنا العم سام بأنه راعي السلام ، وغفلنا عن قول ربنا عزَّ وجلَّ : { ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم } [آل عمران : ٢٧٣] .